المجمع 20 (2025/1446). 283-320

الحزن والفقد في ديوان "لا بدّ من حيفا" للشاعر الفلسطيني عبد الناصر صالح[1]

سماح خليفة[2]

Sadness and Loss in Abdel Nasser Saleh's Poetry Collection *Lā Budda min Ḥaifā*

Samah Khalifah

Abstract

Abdel Nasser Saleh is one of the most prominent contemporary Palestinian national poets. He is known for the great and distinguished value of his poetic literary production, all produced under the yoke and prisons of the occupation. Sadness and loss take central positions in his poetry, especially in his last poetry collection, *Lā Budda min Ḥaifā* [Haifa is a Necessity]. The collection contains new and old poems, which have been written over the last forty years of Abdel Nasser Saleh's life. Many of the poems are addressed to his friends and family whom he had lost either through prison, death, or migration. The use of the words *death* and *loss* and their implications have deep connotations throughout the collection, and they are employed in a way that provokes the reader to relate to his existential state of

[1] شاعر وسياسي فلسطيني ولد في مدينة طولكرم عام 1957م، ويعد أحد أبرز شعراء المقاومة. أمضى أربع سنوات في سجون الاحتلال، مما ساعد على نمو بذرة الحزن في قصائده، شغل منصب نائب وزير الثقافة الفلسطيني، وهو عضو في المجلس الوطني الفلسطيني، يلقب بـ" شاعر الحرية "حيث كتب عددًا كبيرًا من مؤلفاته الشعرية في داخل المعتقلات الإسرائيلية، وقد أطلق عليه الشاعر العراقي عبد الوهاب البياتي لقب "أمير شعراء الرفض". حصل على جائزة الشعر الأولى في جامعة النجاح (1980)، والجائزة الأولى لاتحاد الكتاب الفلسطينيين (1990). انظر: ينظر: موسى، إبراهيم نمر: **مدارات الشعر المقاوم في شعر عبد الناصر صالح**. فلسطين. الاتحاد العام للكتاب والأدباء الفلسطينيين. 2022م. ص8-9.

[2] جامعة النجاح الوطنية.

sadness and despair. This study analyses the poems that appear in Abdel Nasser Saleh's collection, *Lā Budda min Ḥaifā*, by employing a descriptive and analytical approach focusing on the themes of sadness and loss.

Keywords: Contemporary Arabic Poetry; Palestinian Poetry; Abdel Nasser Saleh; Sadness; Loss; Death; Captivity.

الملخّص

يعدّ الشاعر عبد الناصر صالح من أبرز الشعراء المعاصرين في فلسطين: لما له من نتاج شعري ذي قيمة كبيرة ومتميزة خلال مسيرته الأدبية الثقافية، وقد كان لظاهرة الحزن بسبب الفقد وضوح جليّ في ديوانه الأخير "لا بدّ من حيفا"، الذي حوى قصائد وجّهها للأعزاء من أصدقائه وأهله الذين فقدهم بالأسر أو الموت أو الرحيل، فكان للفظة الموت والفقد ومتعلقاتها دلالات عميقة، استخدمها بشكل أثار القارئ وبأساليب متنوعة، كما سيظهر في تحليل معظم قصائد الديوان التي تناولتها الباحثة في هذه الدّراسة، معتمدة على المنهج الوصفي التحليلي.

الكلمات المفتاحية: عبد الناصر صالح، لا بدّ من حيفا، الحزن، الفقد، الأسر.

المقدّمة:

إنّ ظاهرة الحزن، التي كان باعثها الفقد في ديوان "لا بدّ من حيفا" للشاعر عبد الناصر صالح (2022) لهي من الموضوعات المهمّة التي تستحق الوقوف عندها، فقد عانى الشاعر من مأساة الفقد التي تسببت بحزن عميق في دواخله، وقد صرّح بذلك في ديوانه "**يلسعني عناء الفقد**[1]"، وأكبر أداة للفقد بالنسبة للفلسطيني هو العدو الذي يقتله أو يأسره. من هنا، فقد حمل الفلسطيني مشاعر وأحاسيس الحزن التي أثقلت صدره وأضعفت قلبه، لشدة شوقه وحنينه لمن فقد، وقد أبدع الشعراء في التعبير عن حزنهم المرتبط بشكل رئيسي بذواتهم المكلومة، التي عانت الفقد والحرمان، وكان من بين هؤلاء الشعراء عبد الناصر صالح، الذي عبّر في ديوانه عن مشاعر الحزن تجاه من فقدهم بالموت أو الأسر، فكانت قصائده موجّهة إلى صديقه

[1] عبد الناصر صالح، **لا بدّ من حيفا**، ط.1. (حيفا: مكتبة كل شيء، 2022)، 116

الشاعر الراحل: حلمي سالم، وإلى الدته الراحلة، وأصدقائه الأسرى، فضلًا عن فقد أهم ما يملكه الحُرّ العزيز وهو الوطن، فذكر الشاعر بعض المدن الفلسطينية التي عانت من ممارسات الاحتلال مثل مسقط رأسه طولكرم، وجتّ، وحيفا ويافا والقدس. وكما نلحظ أن السواد الأعظم من ديوانه توجّه للأسرى الذي ضحّوا بحياتهم وأعمارهم من أجل الوطن، وقبعوا في السجن، بيد أنهم في نهاية المطاف بشر يحملون الإنسانية السامية التي تتوق للكرامة والحياة والحرية والحب والعائلة والأصدقاء، وهذا الحرمان حرك مشاعر وأحاسيس شاعرنا نحو من فقدهم فعبّر عن ذلك خير تعبير في ديوانه "لا بدّ من حيفا"، فواقع القصيدة الفلسطينيّة الذي يقوم على التّضادّ، هو واقع مليء بالمأساة والظلم والقهر، وفي الوقت ذاته مليء بالإرادة والتّحدّي.

بناء على ما سبق جاءت خطة البحث على المطالب الآتية: تعريف الحزن لغة واصطلاحًا، نظرة عامة على ظاهرة الحزن في الشعر العربي المعاصر، نبذة مختصرة عن الشاعر، ظاهرة الحزن والفقد عند الشاعر، ضمير الـ (أنا) في رسم وتشكيل صورة الحزن والفقد في فلسطين، رمزية الحرية ودورها في تشكيل ظاهرة الحزن، تيمة المرأة الحبيبة ودورها في تشكيل ظاهرة الحزن. موضحين من خلال التحليل: بواعث وأسباب الحزن في شعره، أشكال الفقد المسببة للحزن في شعره: الموت، الأسر، الاحتلال. الأساليب الفنية والتعبيرية التي لجأ إليها الشاعر لإبراز حزنه في لغة شعرية مرتفعة.

الحزن لغة واصطلاحًا:

الحزن لغة: هو غلظة الشيء وخشونته، الحَزْن الغليظ من الأرض والصعب من الدواب وخشن المعاملة من الناس، قال الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت175هـ): "الحزن من الأرض والدواب ما فيه خشونة والأنثى حزنة"[1].

[1] الخليل بن أحمد الفراهيدي، **معجم العين**. ت: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي (د.م.: دار ومكتبة الهلال، د.ت.)، 3/161-160.

وذكر أحمد بن فارس (ت395هـ): "حزن: الحاء والزاء والنون أصل واحد وهو خشونة الشيء وشدة فيه من ذلك الحزن وهو غلظ في الأرض"[1]. وكذلك قيل إن الحُزْن والحَزْن خشونة في الأرض والنفس لحصول الغم، كذلك يقال إذا أحزَنْتَ فلانًا إنك قد خشُنت بصدده"[2].

ويجمع الحزن على حزون كما هو عند ابن منظور (ت711هـ) الذي قال: "والحزن ما غلظ من الأرض والجمع حزون والحزونة الخشونة، ومنه حديث المغيرة محزون اللهزمة أي خشنها"[3]. وأما عند الأزهري (ت770هـ) فجاء: "الحزن: ما غلظ من الأرض وهو خلاف السهل والجمع حزون مثل فلس فلوس"[4]، وفيما يخصّ الصّوت أي صوت الإنسان فيقولون صوت محزن، وأمر محزن ولا يقولون صوت حازن[5]. وذكر الرازي في مختاره عن الصوت قال: "وفلان يقرأ بالتحزين إذا أرق صوته به"[6].

نلاحظ من خلال ما تقدم إن الحزن هو شدة الشيء وغلظة فيه وبعضهم جمعه على حُزُن، وبعضهم على حَزون.

الحزن اصطلاحًا: هو ألم القلب بفراق المحبوب، ويعظم هذا الألم ويزداد إذا فارقه إلى ما يبغض أو يكره أو إلى شيء مكروه يتوقع حصوله[7]. كما هو في قوله تعالى على لسان يعقوب عليه

---

[1] أحمد بن فارس زكريا، **معجم مقاييس اللغة**. ت: عبد السلام محمد هارون (د.م.: دار الكتب العلمية، د.ت.)، 53.

[2] ينظر: الراغب الأصفهاني، **مفردات ألفاظ اللغة**. ت: صفوان عدنان داودي. ط.1. (د.م.: طليعة الثور، 2000)، 131.

[3] محمد بن مكرم أبو الفضل جمال الدين ابن منظور، **معجم لسان العرب**. لبنان- بيروت: دار إحياء التراث العربي، د.ت.)، 3/158.

[4] **المصباح المنير**. ت: أحمد بن محمد بن علي المقرئ الفيومي. لبنان- بيروت: دار الفكر، د.ت.)، 1/134.

[5] ينظر: **لسان العرب**، 3/157، **وتهذيب اللغة**، 4/364.

[6] محمد بن أبي بكر عبد القادر الرازي، **مختار الصحاح** (لبنان- بيروت: دار الفكر، د.ت.)، 107.

[7] أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي، **التبيان في تفسير القرآن** ت: أحمد حبيب قصير العاملي. ط.2. د.م.: مكتب الإعلام الإسلامي، د.ت.)، 6/107.

السلام: "إني ليحزنني أن تذهبوا به[1]"، وذلك لأن يعقوب قد توقع حصول مكروه لابنه يوسف، لذلك أحزنه ذهاب أخوته به حيث قال: إني ليؤلمني مفارقته لي إذا ذهبتم به وأخشى أن يأكله الذئب وأنتم عنه غافلون.

وذكر الحزن في القرآن الكريم في قوله: "وابيضت عيناه من الحزن وهو كظيم". أي إنه ممتلئ القلب حزنًا لدرجة أن عينيه ابيضتا من البكاء بذهاب سوادهما. والحزن كما هو معروف ضد الفرح والسرور وهو من الأحاسيس التي لا يمكن للإنسان السيطرة عليها أو التحكم بها، فعندما نقول لفلان من الناس لا تحزن على أمر ما قد حدث فليس ذلك النهي نهي لتحصيل الحزن؛ لأن الحزن لا يحصل بالاختيار كما أسلفنا، وإلى ذلك أشار العلامة الراغب الأصفهاني بقوله: وقوله تعالى: "ولا تحزنوا[2]"، "ولا تحزن[3]"، فليس ذلك بنفي عن تحصيل الحزن، فالحزن ليس يحصل بالاختيار، ولكن النهي في الحقيقة إنما هو عن تعاطي ما يورث الحزن واكتسابه"[4].

وقال ابن منظور: "الحزن نقيض الفرح، وهو خلاف السرور، قال الاخفش: والمثالان يتعقبان هذا الضرب، باطراد، والجمع أحزان، ولا يكسر على غير ذلك وقد حزن بالكسر حَزنا وتحازن وتحزّن، ورجل حزنان ومحزان شديد الحزن، وحزنه الأمر يحزنه حزنًا"[5].

ومما سبق نستخلص إن الحزن هو الألم والهم الذي يحصل في النفس لغياب أو فقد عزيز وهو قريب من المعنى اللغوي للحزن فكلاهما يدل على الشدة، فالمعنى الاصطلاحي هو شدة في النفس، واللغوي شدة في الشيء وغلظة فيه.

ونلحظ من خلال ما توصلنا إليه من تعريف الحزن أن الفقد سبب للحزن، وكما جاء في لسان العرب فإن الفقد هو غياب الشيء، فقدَ الشيء يفقده فقدًا وفقدانًا وفقودًا، والمرأة

[1] سورة يوسف، 13.

[2] سورة الحجر، 88.

[3] سورة آل عمران، 139.

[4] مفردات ألفاظ القرآن، 231.

[5] لسان العرب، 3/152.

الفاقد هي الثكول، وفي حديث الحسن: أُغيلمة حيارى تفاقدوا يدعو عليهم بالموت وأن يفقد بعضهم بعضا[1]. وأن فقدان الشيء أو الشخص بالغياب سواء بالموت أو الضياع يسبب الحزن في نفس الفاقد.

ظاهرة الحزن في الشعر العربي المعاصر:

يشكل الحزن ظاهرة لافتة في معظم التجارب الشعرية الحديثة، فلم تعد هذه الظاهرة آنية ترتبط بأسباب عرضية، أو بحدث ما يلمّ بالشاعر ويدفعه إلى الحزن كما كان الحال في الشعر القديم، على سبيل المثال عندما انفطر قلب الخنساء على فقدان أخيها صخر، أو حين حزن أبو ذؤيب على أبنائه، والتعبير عن ذلك في شعرهما[2]، "فالشاعر القديم كان يقف برؤيته عند حدود الوجه الواحد، فإذا رأى الوجه المطرب أطرب، وإن رأى الوجه المحزن حزن، أما الشاعر المعاصر فقد "استفاضت نغمة الحزن في شعره حتى صارت ظاهرة الحزن محورًا أساسيًّا في معظم ما يكتبه[3]" وأصبح الحزن ملازمًا له مرتبطًا بالمرحلة التي يعيشها، وفي ظل الواقع المرير الذي يعيشه، فقد نشأ الشعر العربي المعاصر في ظل أجواء من الحزن والكآبة.

وهذا الواقع ينفي فكرة المحاكاة أو التقليد بين الحزن الموجود في نصوص الشعراء الغربيين وبين ظاهرة الحزن في الشعر العربي[4]، وهي الفكرة التي أكدها الناقد عز الدين إسماعيل، قائلًا: "إن الحزن الحاضر في نصوص الشعراء هو تأثّر بالشاعر الأوروبي، والفنين الروائي والمسرحي، وقد توصل إلى أن أحزان الشاعر مصدرها المعرفة وكأن شاعرنا الحديث تنقصه

[1] لسان العرب، 730.

[2] ينظر: **الأسى وقود القصيدة**: مقال في صحيفة الخليج، www.diwanalarab.com

[3] عز الدين إسماعيل، **الشعر العربي المعاصر- قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية** (بيروت: دار العودة، 2007)، 353.

[4] ينظر: إبراهيم الحاوي، **حركة النقد الحديث والمعاصر** (د.م.: الشركة المتحدة للنشر والتوزيع، 1984)، 197.

أسباب الحزن، وبالتالي يعمد إلى استيرادها أوروبيًّا من شعراء الغرب[1]. وحول دوافع الحزن في الشعر المعاصر يقول عز الدين إسماعيل: "نجد في شعرنا المعاصر قد استفاضت نغمة الحزن حتى صارت ظاهرة الحزن محورًا أساسيًّا في معظم ما يكتب الشعراء المعاصرون من قصائد، وأبرز ما يوجه إلى هذه النزعة هو أن الشعراء قد صاروا يلحّون على إبراز جانب واحد من جوانب الحياة، وهو جانب القتامة منها وأنهم يغضون عيونهم من جانب البهجة[2]". في حين أن "أغلب الشعراء يعانون من غربة روحية، واغتراب جراء بعدهم عن أوطانهم او فقدهم لأوطانهم، بسبب الاضطرابات السياسية، والاجتماعية، والاقتصادية، أو عشاق فاض بهم الوجد والحنين لأحبة قد غادروا وآخرين رحلوا وباتوا تحت الثرى، وللكآبة واليأس والوحدة ومحاصرة المدن والحب والجنون دور بارز في إرساء دعائم الحزن وترسيخ الأسى واللوعة في النصوص الأدبية عامة والشعرية خاصة[3]". لكن ذلك لا يلغي التأثر بالنزعة الإنسانية الغربية كنوع من التّناص أو المحاكاة مع الأدب الغربي[4]، وهذا من طبيعة النفس البشرية، التأثر والتأثير، فقد "يتأثر الشاعر بالأدوات التعبيرية في الأشعار الغربية من بساطة في الأداء، واختيار الألفاظ الشائعة بين العامية والفصحى لنقل المأساوية كما في الواقع الحياتي، وبالتالي يكون الحزن تفسيرًا صادقًا لواقع الحياة[5].

فمثّل الشاعر في شعره موضوعات حزينة تتلخص في: المرض والأوبئة والجوع والموت والاحتلال، كان هدفه بذلك التغيير والخروج من الحالة السيئة التي يعايشونها من خلال الإجادة في التعبير، فدخل من باب الإبداع وعبّر من خلال حمل لواء الكلمة الحرة، التي

[1] ينظر: عز الدين إسماعيل، **الشعر العربي المعاصر**، 354-352

[2] ن.م.، 353.

[3] ينظر: نجية موسى، "ظاهرة الحزن وبواعثها في الشعر العربي المعاصر،" مجلة **جسور المعرفة** 7، (2016): 99-98.

[4] ينظر: شوقي ضيف، **الأدب المعاصر في مصر**. ط.5. (دار المعارف، 1974)، 61-60.

[5] ينظر: يوسف علي الدويرة، **القضايا المعنوية والفنية في شعر حاكم عبد الرحمن**. أطروحة دكتوراه غير منشورة. السودان. جامعة أم درمان، (2013)، 53.

لاءمتها القصيدة الحرة في واقع اختلفت بواعثه ودوافعه ومتطلباته. وبالفعل مكنت هذه التجربة شعراء كثيرين أن يضعوا أقدامهم على مشارف واقع ينتمي إلى عصر حب الاطلاع والرغبة في الخروج عن الثبات والجمود وكسر القيود، فظهرت أصوات جديدة تمهد لأساليب جديدة، في الثقافة والحياة المعاصرة. ومن تلك الأصوات الشاعرة والناقدة العراقية **نازك الملائكة** (1923-2007) التي أجادت التعبير عن كم الحزن العميق في شعرها، وعناوين قصائدها كفيلة أن تشي بمخزون الحزن فيها قبل الولوج إليها: عيون الأموات، أحزان الشباب، آلام الشيخوخة، كآبة الفصول الأربعة، أنشودة الأموات[1]) وقصيدتها "الكوليرا[2]"، التي تقول فيها:

حزنٌ يتدفّقُ يلتهبُ/ يتعثّر فيه صدى الآهاتْ/ في كلّ فؤاد غليان
في الكوخ الساكن أحزان/ الموت الموت الموت
يا حزن النيل الصارخ مما فعل الموت

وكذلك **البياتي** (1926-1999) الشاعر العراقي الذي كان "في انتظار معجزة إنسانية تقع" عبّر عن حزنه بصورة فلسفية لافتة في شعره، حيث تحولت مظاهر الحياة في نظره إلى خراب والغناء إلى بكاء، والقمر الذي كان فأل خير صار حزينا، ففي قصيدته "قمري الحزين[3]"، يقول:

غرقت جزيرتنا وما عاد الغناء إلا بكاء/ والقبراتْ طارت، فيا قمري الحزين
الكنز في المجرى دفين/ أكذا نموت بهذه الأرض الخرابْ؟
ويجفّ قنديل الطفولة في الترابْ

ويعلل الشاعر المصري **صلاح عبد الصبور** (1931-1981)، ظاهرة الحزن في شعره، قائلًا: "لست شاعرًا حزينًا؛ لكني شاعر متألم؛ وذلك لأن الكون لا يعجبني؛ لأني أحمل بين

[1] نازك الملائكة، **ديوان نازك الملائكة** مج. 1 (بيروت: دار العودة، د.ت.).

[2] **ديوان نازك الملائكة** مج. 2، 139.

[3] عبد الوهاب البياتي، **الأعمال الكاملة** مج.1. ط.1. (بيروت: دار العودة، 1972)، 75.

جوانحي، كما قال شيلي[1] شهوة لإصلاح العالم وإن شهوة إصلاح العالم هي القوة الدافعة في حياة الفيلسوف والنبي والشاعر؛ لأنّ كلًا منهم يرى النقص فلا يحاول أن يخدع عنه نفسه، بل يجهد في أن يرى وسيلة لإصلاحه[2]". فقد أبدع في نقل تجربته الحزينة، كما كشف عن أهم أسباب الحزن في الشعر المعاصر، هو أن الشاعر وجد نفسه في عالم مختلف عن العالم الذي يعيشه، سواء كان ذلك من ناحية التفكير، أو المعرفة، أو مستوى الحياة التي يطمح إليها، وهذا أدى إلى خلق فجوة كبيرة بينه وبين مجتمعه، فجاء حزنه غريبًا ثقيلًا، يقول في إحدى قصائده:

حزني ثقيلٌ فادحٌ هذا المساء/ كأنّه عذاب مصفدين في السعير

حزني غريب الأبوين[3]

وقد استطاع الشاعر المصري **أمل دنقل** (1940-1983) "أن يوظف الحزن في أشعاره في مفاهيم مهمّة تخص الإنسان ومصيره وما يلاقيه في مستقبله المجهول، كما ربط الحزن بموضوعات المرأة على اختلاف مكانتها، والموت، ويوميات الحياة[4]، وهذا ما جعل الصورة التي لجأ إليها للتعبير عن الحزن في قصيدته (أوجيني) في غاية الجمال رغم سوداوية اللفظة (عناكب) الحزن":

القرن التاسع عشر العام التاسع والستون

وأيادي الشركس تقرع أبوابا قد عنكب فيها الحزن/ باسم خدوي مصر[5]

[1] بيرسي بيش شيلي: شاعر إنجليزي رومانتيكي مهم، ويعدّ شخصيّة مؤثّرة، له العديد من القصائد منها: أغنية للريح الغربية، إلى قبرة. ينظر: https://ar.wikipedia.org/wiki

[2] السعيد الروايص، **ظاهرة الحزن في شعر السياب**. رسالة ماجستير. الجزائر: جامعة باتنة، (1986)، 27.

[3] صلاح عبد الصبور، ديوان أحلام الفارس القديم. www.bools4all.net. ص22

[4] محمد جابر المبارك، "الحزن وبواعثه عند أمل دنقل،" **مجلة ابن خلدون للدراسات والأبحاث** 10/2، 146.

[5] أمل دنقل، **الأعمال الشعرية الكاملة** (بيروت: دار العودة، 2015)، 15.

فالحزن الذي تحدث عنه الشاعر، باعثه الحاكم الذي سيطر على الأرض وخيراتها وبدد ثروتها، ونسج الحزن على أبواب المدينة، فباسم الحاكم ولأجل المعشوقة تهدر أموال الناس وتحصد خيرات الأرض. وهيمن الحزن في قصائد دنقل، كذلك في قصيدته "الموت في لوحات"، و"يتم أطفال أطفال"، يقول:

يُتِّم أطفالٌ أطفالْ/ زرع الحزن عليهم موالًا.. موالْ
عشر سنين والمنجل يحصد كل سنابلها المزدانة
لم يرجع غير من اخضر له عمر بعد العمر/ عاد ليحكي، يبصق دم
والقرية تخلص من مأتم لتقيم المأتم[1]

وأما **محمود درويش** الشاعر الفلسطيني فكان الحزن صارخًا في قصائده، وظاهرة لافتة حتى من خلال العناوين، فقصيدته التي عنوانها "الحزن والغضب"، العنوان وحده كفيل بالتعبير عن حجم الحزن والألم الذي ألمّ بالشاعر، يقول فيها:

إنا حملنا الحزن أعواما وما طلع الصباح
والحزن نار تخمد الأيام شهوتنا وتوقظها الرياح
والريح عندك كيف تلجمها وما لك من سلاح
إلا لقاء الريح والنيران في وطن مباح[2]

وحال محمود درويش هو حال كثير من الشعراء الفلسطينيين الذين عبّروا عن حزنهم العميق في قصائدهم، من بينهم الشاعر **عبد الناصر صالح**، والجدير بالذكر أن الحزن عند عبد الناصر صالح وغيره من شعراء المقاومة لم يكن ملازمًا للانكسار أو الضعف أو الإحباط، وإنما ظل ملازمًا للتحدي والإرادة والصمود، فكان حزنهم الذي تضاعف جراء الفقد دافعهم نحو التحرر من مسبباته.

[1] أمل دنقل، **الأعمال الشعرية الكاملة**، 16.

[2] http://www.adabna.com/diwan/a/1024 19/1/2024 الساعة: 7:12

ظاهرة الحزن والفقد عند الشاعر عبد الناصر صالح:

في وطن يسيطر فيه الاحتلال ويكثر فيه الفقد والأسر، أصبح الحزن لدى الشاعر المعاصر ذا حدّين: حزن الذّات وحزن لمصير الوطن، حزن شخصي وحزن جمعي، وبذلك تراوح الشاعر في قصائده بين تشخّصها الذّاتيّ، وإنسانيتها الأشمل. وبأدوات تعبيرية مائزة حققت فعلًا شعريًّا بارزًا في ديوان (لا بدّ من حيفا) استطاع عبد الناصر صالح أن يعبّر فيه عن مشاعر الحزن التي ألمّت به نتيجة فقدانه للكثير من الأصدقاء، فضلًا عن فقد والدته التي بقيت في خلده ويحمل معها أجمل وأحنّ الذّكريات، فلا ينفكّ يتقوقع في شرنقة الحزن مدى الحياة، لكن حزنه هذا شامخ لا يعرف الانكسار. وأما أصدقاؤه الذين غيّبهم الاحتلال في الأسر، والوطن الضائع والأرض السليبة فقد جعل لهم حيّزا لافتًا في قصائد الديوان.

وقد تجسدت ظاهرة الحزن والفقد في شعر عبد الناصر صالح بالتّعبير الحيّ الصّادق والنّبض الإنساني يتجسّم فيهما الباعث والمحفّز على تناولهما، فهما تعبّران عن ذاته وذات الفلسطينيين أنفسهم في ممارسة شغفهم للحياة رغم عوزها وفقرها، ورغم ما فيها من الظلم والحرمان والفقد.

ليست هذه الظّاهرة التي مثلها الشاعر في ديوانه ببعيدة عن الإطار العام الذي مثّله الشعراء العرب في شعرهم، إنما هي جزء أصيل من حالة عامة يمثلها الواقع العربي الأليم الذي يزداد سوءًا نتيجة الفقد والخسران المتراكم في المنطقة وغياب البوصلة، مما خلق حزنًا عميقًا مثّله الوعي الإبداعي الشعري[1]. يقول مخاطبًا صديقه الشاعر حلمي سالم:

أرتاب خوفًا/ كأني انتبذت مكانًا يراوح ما بين جرحين
فاجعتين/ أؤبن موتاي، أشرب حزني مرًّا[2].

[1] حلمي مرزوق، **تطور النقد والتفكير الأدبي في الربع الأول من القرن العشرين**. ط.1. (مصر: دار الوفاء، د.ت.)، 180.

[2] **الديوان**، 14.

فهو تحدث عن مكان انتبذه بين جرحين، جرح الذات والخسارات التي ألمّت بها، وجرح الوطن الجرح العام الذي خيم بظلاله الحزينة على حياته.

وقد توفرت لدى الشاعر عبد الناصر صالح أسباب عديدة؛ لتشكل ظاهرة الحزن بشكل لافت في ديوانه "لا بدّ من حيفا"، أشار إليها بطريقة غير مباشرة من خلال عناوين قصائده، حيث وجهها لوطنه المسلوب، والدته المتوفاة، رفاقه في درب النضال الذين فقدهم بالشهادة أو الأسر، وبالتالي تجمعت لدى الشاعر كلّ الأسباب التي جعلت ثيمة الحزن وما تعلق بها في شعره من تتمكن في ديوانه، ما دفع الباحثة إلى تتبعها من خلال تحليل القصائد. ومن مظاهر الحزن والفقد ومتعلقاتهما التي ذكرها الشاعر في قصائده: الجرح، البكاء، الدموع، الفجيعة، الوحدة، الموت، الغياب.

فقد كان لرحيل الصديق الشاعر المناضل **حلمي سالم** أثر كبير على شاعرنا، جعله يصور حالة الموت؛ وكيف يغادر الميت وحيدًا، لا أصدقاء لا أهل لا رفاق، يغادر وحيدًا، فيدمي قلوب محبيه ويبكيهم ويصيبهم حزن باهظ الثمن وهو خسارة عزيز عليه، فلم يبك الشاعر هذا الفراق وحده بل شاركه في ذلك العصافير، حتى ليتساءل الشاعر إن كانت لغته وقصائده تتغلب على هذا الجرح الذي سببه الفقد، وإنّ ما يميز حزن شاعرنا ربطه الحزن بالحكمة، فالإنسان حتى في حزنه يجب أن يكون حكيمًا، فلا يفقده حزنه أهدافه التي شاركها أصدقاءه، ولا تفقده معنى الحياة وإنما تعلمه حكمة الزهد بها؛ لأن الجميع راحل في نهاية المطاف:

وحيدا يغادر محرابه/ والعصافير مسدلة الجفن تبكي وحيدا
يحاصره الموت من كل حدب/ فيشعل مصباحه الكهربائي يفتح قاموسه اللغوي
هل يثمر الشعر في آخر الشوط أم يثمر الجرح؟
يسبقني باهظ الحزن في حكمة الزاهدين[1]

[1] **الديوان**، 11.

وحكمة الموت رغم مرارتها تظهر بإبداع الشاعر صورة جميلة عندما يربطها بالثلج الناصع، وتأثير الثلج على شعور الإنسان، حيث "ينصح خبراء الصحة بحمامات الثلج نظرا لفوائدها العديدة والمتمثلة خصوصا في تقليل خطر الإصابة بالتهابات الجهاز التنفسي وأمراض القلب والأوعية الدموية وتحسين القدرة على تحمل التوتر[1]"، ولذلك كان الثلج حاضرًا في قصائد الشعراء فالثلج يحمل العديد من الأسرار التي يبوح بها الشعراء في قصائدهم وخواطرهم، وقد رأى الشاعر السوري **فواز حجو**، على سبيل المثال، الكثير من أسرار الثلج في قصيدته، حيث يقول:

هـذا هـو الـثـلـج مـن عـلـيـائـه نـزل لولا تواضــع هذا الثلج ما هطلا
وهـا هي الأرض في أبهى مـفـاتـنهـا تزيـنـت كـعـروس وارتـدت حللا[2]

وأما الموت الذي خطف أعزاء الشاعر وحرمه منهم، وألهب صدره فقدهم، جعله حكيمًا متزنًا بعيدًا عن التوتر، هبط باردًا كالثلج، بل دفعه لأن يستعين بالشعر متزمّلًا مخففًا من توتره وحزنه، فلا ينسى فقيده ولا تنسيه الفاجعة متطلبات المرحلة، يقول:

والموت يهبط كالثلج/ يضبط أوقاته بانفلات الغواية
يا أيها المتزمل بالشعر ميتا/ ردّ لي دهشتي كي أراك على شرفتي قمرا كامل الوجد[3]

إن إخلاص شاعرنا المناضل عبد الناصر، لا يظهر فقط في تمسكه بقضيته، وعدم نسيانها، والتعبير عنها، إنما في مشاركته صديقه الراحل الشاعر حلمي سالم في هذا الحزن الذي أورثه فقد الوطن، وفقد الروح، وفقد الكرامة، وجوعنا لحرية الأرض والكلمة، فهو يريد للجرح أن يبقى ظاهرًا ناصعًا حتى لا ننسى أسبابه، يقول:

يعلن الجوع كفرا/ ويبكي على زمن نسجته القناديل من ألفة النيل
لم يرتكب خطأ حين غصت أجندته في بريق الصباحات

[1] جريدة العرب https://alarab.co.ukB1 5/1/2024 الساعة 1:40 ظهرا.

[2] **اللغة العربية، المنهاج المدرسي للصف الخامس**، (2020)، 21.

[3] **الديوان**، 15.

بالشعر ينهال أحمر كالأرجوان/ وأبقى على جرحه ناصعًا في الميادين[1]

ومن أهم ما ذهب إليه شاعرنا أنه اتخذ من الشعر وسيلة لطرد الكآبة التي تسبب الحزن، فوجه إلى صديقه الأسير **محمود العارضة**، بشكل خاص، وأصدقاءه عامة، دعوة للكتابة التي هي سبيل لتحرر الإنسان من صلف المحتل، لينبلج فجر الحكاية:

فاكتب لتنأى عنك أشباح الكآبة لا محالة قادم فجر الحكاية
سوف يأتي مسرعا كغزالة/ فاكتب نشيدك في الحواس/ نهارنا بين السطور
حناؤك العشب المؤصل حول سور القدس ترقبه المآذن[2]

إن مظاهر الحزن والألم والجرح والقهر تتفاوت بين الأشخاص، فجرح الإنسان المناضل الشامخ يختلف عن إنسان ذليل خائن، بالتالي فإن حجم الألم ووقع المصيبة تكون أكثر تأثيرًا في الإنسان الشامخ الأبيّ عزيز النفس الذي لا يرضخ لمغريات المحتل، ومن هنا فقد استحضر شاعرنا صورة الصقر الجريح، فالصقر كما هو معروف عنه إن تم "أسره يقتل نفسه ولا يقع فريسة، يقوم بنتف ريشه حتى يموت، وإن تم صيده يقوم بالانتحار، وإذا تم اصطياده يشعر بالذل والإهانة مما يؤدي شعورة إلى سرعة ارتفاع نبضات قلبه الذي ينفجر ويموت[3]". والصقر رمز للفلسطيني الشامخ الذي يتعرض لشتى أنواع الابتلاءات، لكنه سرعان ما يغسل أحزانه ولا يسمح لها بالتكدس.

وأمضي كصقر جريح على معطف القهر يبكي
ويغسل أوهامه تتكدس مثل الجذور الخبيثة/ أخلع نيشان حزني
أمضي لخاتمتي[4]

[1] **الديوان**، 10.

[2] **الديوان**، 24.

[3] الموسوعة العربية https://www.mosw3a.com تم في تاريخ: 26/1/2024 الساعة 4:51.

[4] **الديوان**، 35.

إن خذلان الوطن هو أكبر مسبب لحزن الفلسطيني، حتى صارت الخطب الجوفاء ليست سوى معزوفة لحزن تعتق في ضمير كل فلسطيني شريف، لا تسمن ولا تغني من جوع، ومن هنا جاءت الدعوة مبطنة من قبل الشاعر لرفض تلك الخطب الجوفاء.

أنزع من بداياتي ويسرق صولجاني المغرضون

كأنني استأنست خذلاني من الخُطَب المثيرة

واستكنت لرقصة الأشباح في معزوفة الحزن العتيق[1]

لكن الشاعر بما عاناه من ألم الفقد، على الصعيد الشخصي والجمعي، راكم داخله حزنًا عظيمًا جعله يظن أن لا حزن يشبه هذا الكم الذي أثقل صدره كلما استدعى حكايا الفقد من الذاكرة:

أمسيت منفردا بحزني/ كلما انفجرت ينابيع الحكاية

تحت جلدي قد تنام الحرب[2]

وهذا الكم من الحزن المطبق على صدر الشاعر إلى حد عدم القدرة على التحمل حد الجنون، جعله يتساءل إلى أين يفضي به؟ ونجده لم يجد غير البحر على اتساعه وعمقه ليطلب منه الإجابة، علّه يجد عنده مبتغاه.

فهل ضاقت رحاب الأرض بالفقراء؟

هل أسرى بنا الحزن المغلف بالجنون إلى معاقله؟[3]

وهذا ما حمل شاعرنا على مشاطرة حزنه وتساؤله مع صديقه الأسير **عباس السيد**، حول احتمالية ذكرى عابرة أو حدث جميل حملته وردة، أن يكون كفيلًا بغسل الحزن وشفاء الجرح:

[1] **الديوان**، 60.

[2] **الديوان**، 63.

[3] **الديوان**، 64.

حين يفترس الظلام إطار صورتنا/ هل نستظل بوردة في الجرح طالعها
دمنا الذي استعصى على الأشواك يغسل جرحنا[1]

لكن هذه الوردة أو الذكرى العابرة لا تلبث أن يطردها دموع غيمة ثكلى تنكأ الجرح من جديد، فهل أراد الشاعر برمز الغيمة الثكلى الأم الفلسطينية الثكلى التي فقد ابنها أو زوجها، فما جفّت دموعها:

وأدركتني غيمة ما جفّ يوما دمعها/ فهل اتكأتَ على جناح الفجر تنكأ جرحنا[2]

وهذا الفقد، الذي يجعل من الأم أو الأخت أو الابنة ثكلى، يخلف غيابًا للأحباب موجعًا، وذكراهم أثره كاويًا كالجمر، بل أشد إيلامًا:

يوجعك الغياب وصوتهم/ جمرة تتكتم الأسرار تحت رمادها[3]

لكن كبرياء الفلسطيني وعزته وشرفه أسقطه الشاعر على الجرح؛ ليستمد منه علياءه الذي به يحافظ على عهد قطعه الرفاق فيما بينهم، لا استسلام، لا ضعف، لا خذلان.

فاكتبْ: هنا علياؤنا في كبرياء الجرح/ من ولعٍ سنصعد
يستقيم العهد فيما بيننا[4]

ولا ننسى أنّ الشاعر عبد الناصر صالح هو مناضل الكلمة وهو الملتزم بالأرض والقضية، ومن خلال رحلته الطويلة داخل السجون، استطاع أن يكتسب خبرة كبيرة، وتجربة شعرية إبداعية مميزة ومتفردة. إنّما القيد الذي حال بينه وبين أرضه لا يجد تعويضًا عنه إلا بشد رحال شعره على بلده طولكرم، فيعبر عن حبه لها وحزنه وألمه لبعده عنها:

أحبك يا قطعة من كياني/ ومبعث فخري بين الأنام/ وإن حال بيني وبينك سجن

[1] **الديوان**، 69.
[2] **الديوان**، 72.
[3] **الديوان**، 73.
[4] **الديوان**، 75.

وشوك المنافي سرى في العظام/ وحاصرني الحزن من كل حدب
وأوهت خطاي الهموم الجسام/ أشدّ الرحال إلى طولكرم
ففي طولكرم يطيب المقام[1]

الإنسان المناضل الشريف يحزن لكن لا يخاف، وهذا حال شاعرنا يكتم جرحه ويرجم خوفه:

قل: من أي ناحية يطلّ الخوف/ فلترجمه باسم رفاقك الأسرى
وتسدل جرحك المكلوم[2]

والحال الذي تمثل بها الشاعر يراها في رفاق دربه، فها هو يخاطب الأسير أحمد سعدات يحثه على الصمود رغم حجم الألم الذي يعتصره، فيقول:

فارفع إصبعيك إشارة للنصر/ واختتم القصيدة بالنبوءة واليقين
فما المجاز سوى وشاح من مدى الكلمات يغسل دمعها
وأنا أراك الآن فيّ/ فهل تراني فيك حيًّا؟[3]

فالشاعر لا يلبث بحدسه أن يقدر حجم الجرح وحجم الخسائر التي تنزف مرة بعد أخرى، لكن الحزن والألم الكبيرين بسبب حجم الفقد الذي انتاب الشاعر من موت وأسر، جعله يلتبس في التقدير، وهذا ما يعكس حالة الفلسطيني الذي تتكالب عليه الظروف والمصائب.

مرّ السحاب عليّ ملتبسًا بأوراقي/ أقيس الجرح نزفا بعد نزف
ليس تبلغه المآتم أو تصدّ فحيحه[4]

---

[1] **الديوان**، 88.

[2] **الديوان**، 91.

[3] **الديوان**، 110.

[4] **الديوان**، 118.

لكنه في الوقت ذاته يصمم على التمسك بالأمل والتخلص من الخوف، فلا خيار أمام من سلب منه كل عزيز إلا أن يصمد أمام هذا الحزن أملا في توديعه إلى غير رجعة:

برغم الخوف والنكران لا ينفكّ يرسله/ إلى مدن الحصار إذا تفتح لونها
وإذا تصبب وجهها وردا/ لتفرد في مدار الحلم أشرعة/ تودع حزنها[1]

عندما يفقد الإنسان عزيزًا، يحن إليه، لكن عدمية وجوده تجعل من الحنين مرادفًا للحزن، فلا يلبث الشخص أن يطرد من ذاكرته صورة تحزنه أو تضعفه، ليحافظ على قوته وصموده رغم الحزن المعتمل في صدره والوجع الذي ينبض به قلبه:

فلا تذهب بعيدا في الوجيعة/ دونك الشيطان ينتحل القريحة
يمضغ اللون المؤجج للخريطة/ فاحتمل ما أفرزته قساوة القفل البغيض
فهل ستشفع للحنين إذا أتاك مرادفا للحزن؟[2]

يختتم الشاعر ديوانه بقصيدة للأسير **كريم يونس**، فهو من شدة الحزن والألم الذي يعتريه في الأسر يستحضر المسيح ويجعل من نفسه في مهمة التعبير عن كم الألم الذي يعتريه من مصاب رفيقه، مسيح حروف جوال، يحاول بيع الحزن في حروفه للتخفيف من وطأتها، لكنه لا يلبث ينزف حزنا:

أنا مسيح حروفها الجوال/ والمنفي في المعنى/ أبيع الحزن مغروسا بخاصرتي
نزفت وأطفأ الحنون ندبي[3]

رمزية الحرية، ودورها في تشكيل ظاهرة الحزن:

تعدّ الحرية من أعظم القيم الإنسانية التي تتيح للفرد استمرارية الحياة والتطور، لذلك كانت الشعوب تطمح إليها دومًا، ولذلك جنح الأدباء والشعراء للتعبير عن مشاعر الحزن التي

[1] **الديوان**، 119.

[2] **الديوان**، 134.

[3] **الديوان**، 145.

ألمّت بهم نتيجة فقد حريتهم، وتوقهم الشديد لنيل تلك الحرية، تارة باستخدام اللفظة صريحة وتارة الاستعانة بالرموز، كما فعل كثير من الشعراء ومنهم أبو القاسم الشابي (أرنو إلى الشمس المضيئة هازئا بالسحب والأمطار والأنواء)، فالشمس التي يرنو لها هي الحرية، وأما **شمس** الحرية عند عبد الناصر صالح فقد ربطها بفقد والدته وفقد الوطن بعد زجه في السجن، فيعبّر عن حزنه العميق وألمه بفقدان الحرية مرتين، حرية في ظل نور أمه، ملاذه، وحضنها الدافئ، وحرية في ظل الوطن الذي سلب.

لا لم تمت أمي ذؤابة مهجتي/ أتبع ظلها طفلا على أعتابها يحبو

يدق باب الشمس يجلب نورها للأرض[1]

وفي القصيدة ذاتها يكمل قائلًا:

لم ينل من حظه شيئا سوى برد السجون[2]

يستحضر الشاعر رمز (**الفجر، النهار**) معادلًا موضوعيًّا للحرية، فهو ينتظر فجر الحكاية، حكاية وطن سلبت حريته، ينتظر نهاره ينفتح على وطنه وسور القدس، وأشعل حواس ووجدانيات الشاعر ودفعه للتعبير عما يكابده:

لا محالة قادم فجر الحكاية/ سوف يأتي مسرعا كغزالة

فاكتب نشيدك في الحواس/ نهارنا بين السطور/ أتيت منفتح الرؤى

حناؤك العشبي حول سور القدس[3]

فجر الحرية، يتمنى الشاعر أن يخلصه من المنفى والقيد، فيعود للتعبير عن ألمه وحزنه لفقدان حريته بقوله:

يستعيد العمر وشم بنانه/ والفجر ينفض ريشه في أذرع المنفى

[1] **الديوان**، 17.

[2] **الديوان**، 19.

[3] **الديوان**، 24.

سينبلج الصراط، يزول وهم كان يملؤه الفراغ/ القيد يسقط في جهالته[1]

على الرغم من مشاعر الألم والأمل والحب التي تتضارب في نفس الشاعر، إلا أن ثقته بأن الفلسطيني سينال حريته يومًا ما، يظهر جليًّا في أبياته التي كتبها لرفيقه في الأسر **محمد خلف**، وإن ليل السجن عاجز عن كسر إرادته، فاكتسبت الصورة لديه عمقًا أسلوبيًّا ودلاليًّا، فقد أبدع حينما قرن **الشمس** بالصحوة، وجعل الليل مبتورًا، ليمضي في دربه واثقًا شامخًا بالخير الذي سيحل، والذي حمّله مجازًا للمطر، يقول:

إنّ الشمسَ مقبلةٌ تجدل عمرنا بنعيم صحوتنا
فكيف يصدّك الأوغاد عن قيثارة المعنى؟/ كانّ الليل مبتور الشراع
فسر على درب النبوءة واثقا/ هطل الشتاء على المجاز[2]

ويستمر الشاعر رغم الحزن وألم الفقد الذي يعتريه بالدعوة إلى النهوض والتمسك بأمل الحرية المتمثل في دفء الشمس، الذي سيتغلب على برد السجون:

فانهض.. قد ترى شمسًا وبارقة/ تطلّ على الزنازين الخبيئة في البرودة[3]

ثم يشير الشاعر إلى دور الثورة في الحصول على الحرية، عندما ربط العواصف بالشمس، وجعل العواصف سببًا في إتيان شمس الحرية، متسائلًا عن نوع تلك الثورة:

أي عاصفة أتت بالشمس[4]

ونلحظ أن الشاعر لا يستسلم لمشاعر الحزن والألم التي ألمت به نتيجة الفقد وغياب من أحب من أصدقائه في الأسر، يظل متمسكا بالأمل، بفكرة الحرية و**الشمس** التي سيحاكيها، والطريق التي ستحرره.

---

[1] **الديوان**، 25.

[2] **الديوان**، 47.

[3] **الديوان**، 48.

[4] **الديوان**، 48.

هب لي فكرتي؛ لأعانق الأخدود ظمآنا يحاكي الشمس

يسقي غرس من جاعوا ومن صلبوا على حد الغياب[1]

ويحول الشاعر حزنه وألمه إلى أمل، وأمل الشاعر بالحرية يحوله فيما بعد إلى **شمس** يقين، وهذا يعكس صلابته وإرادته القوية، بأنه قادر على التّخلص من الاحتلال وقهر السّجون وانتزاع حرّيته:

لنا حكاياتنا نخاطب عمرنا/ يمضي على شمس اليقين كوصل عاشقة

على نقش الزبرجد تحتويه بضرعها[2]

وهذه الثقة هي التي جعلته يختم قصيدته برؤية الفرسان الذين يكسرون عتمة السجن؛ لينتهي اللّيل وينحلّ القيد، بتحقق الترويدة الفلسطينية، و"الترويدة الفلسطينية هي عبارة عن أغانٍ تحدت قضبان المعتقلات، وكان ظهور الترويدة منذ الاحتلال البريطاني واستمر بعد النكبة، وهي لم تكن مفهومة من العدو، لكنها في حقيقة الأمر رسائل مشفرة يغنيها الأهل لتبشير المعتقلين الفلسطينيين باقتراب خلاصهم ونيل حريتهم[3]"، يقول الشاعر:

عاصفة خطاك تطل فوق السور/ تحت السور/ عاصفة/ تجمهر حولك الفرسان

ليل غامض ينزاح/ قيد محكم ينحل في ترويدة المعنى[4]

إن صدمة الفقد وكمّ الحزن الذي يصيب الإنسان جراء ذلك، لا يلبث أن يتحول بعد فترة وجيزة إلى مشاعر مضادة، قوة أمل رغم الألم، هي قوة إيمانه وإخلاصه لوطنه، وهذا ما دفع الشاعر أن يجعل من **عبد الله البرغوثي** الأسير بطلًا بعقله المحرر يقود **الشمس**، فهو ممتلئ بالقوة والإصرار والعزيمة:

---

[1] **الديوان**، 56.

[2] **الديوان**، 72.

[3] صحيفة حفريات https://hafryat.com/ar 1/5/2024 الساعة 5:06 صباحًا.

[4] **الديوان**، 78.

يقظ تماما مثل شمس تهتدي لمجالها المرئي

تلمع في المدى البصري لا مجال لردها/ ستقودها بجدارة العقل المحرر

هل ستنسى؟/ كم أنت ممتلئ البريق تطل من كل الجهات[1]

لم يكتف صالح بشمس واحدة يقودها البطل الأسير، إنما جعل شموسًا في قبضته يستنير بها:

فاستنر بشموسك الجذلى/ نبالك ناصعات الحدّ في قبس الرغائب[2]

هذه المشاعر الجياشة في نفس الشاعر هي التي دفعته لتضمين قصيدته "لا شيء ينسيني لأنسى" فيما بعد، حيث يبقى متيقظا؛ ليبني وطنا ينعم بالحرية، فيضيء الأمل بالنصر وتضيء القصيدة:

لك أن تضيئي في رياح الشعر محرابي/ لتنصهر القصيدة بالندى[3]

ولذكاء الشاعر وإخلاصه عرف من يختار ليخاطبه، ويلقي عليه فكرته التي يحملها كل فلسطيني وهي **الحرية**، والذي هو قادر على إيصالها للأجيال القادمة، الحكواتي الشاعر الصديق **عبد الحكيم سمارة**، "لا تختلف شخصية الحكواتي عبد الحكيم سمارة عن أي فلسطيني مازال يتوق إلى الحرية ويحلم بالعودة. فهو ولد في قرية جت المثلث (الداخل) في العام 1959، وكبر بين زقاق القرية، البيادر والسهول، حيث عايش الحكم العسكري الذي استمر حتى العام 1966 .جمع سمارة خلال حياته مخزونًا ثقافيًا وفلكلوريًا متوارثًا من جيل إلى آخر، يحاول نقله اليوم إلى الجيل الأصغر، على جانبي الخط الأخضر، "سعيًا للحفاظ على الحكايات الشعبية والرواية التاريخية للشعب الفلسطيني"[4]. يقول الشاعر:

---

[1] **الديوان**، 79.

[2] **الديوان**، 80.

[3] **الديوان**، 119.

[4] جريدة المدن https://www.almodon.com/society 5/1/2024 الساعة 5:16 صباحًا.

يا حارس البوابة المنذور للصلوات/ لا عليك بأنجم سقطت وأخطأت الطريق
فكن كما أنت/ انتبه للشمس راهبة تطل على المدى
لك وشمها الأبدي إن لاح الغياب/ ولك الصحائف ترتوي برحيقها ولك السحاب[1]

عندما يكبر حجم الألم والشعور بالفقد لا تستحضر ذاكرة الشاعر إلا صاحب أكبر غياب في تاريخ السجون، والذي خلّف فراغًا ورّث مشاعر الحزن والألم، **كريم يونس** أقدم أسير فلسطيني لكن وجوده المعنوي وأفكاره التحررية لا تغيب عن أي فلسطيني فكيف يتغيب عن الشاعر عبد الناصر صالح، يؤكد على الهدف الذي حمله يونس وشاركه صديق فيه، حيث لا تحيد البوصلة عن كلمة الحق في بزوغ شمس الحرية، يقول له:

خلقتَ مؤملا بالفتح/ خلفك سائرون إلى مواقيت النهار/ لا لم تزغ عيناك
صوتك لا تغيب الشمس عنه/ ولا تفرقه المواجع[2]

ضمير الـ (أنا) في رسم وتشكيل صورة الحزن والفقد في فلسطين:

شكل حضور الأنا في الأوساط الأدبية محورًا لا يقل أهمية عن المواضيع التي تطرقت إليها الدراسات الاجتماعية والفلسفية، وأصبحت تعنى بدراستها من خلال رصد العلاقة القائمة بين الفرد والجماعة؛ فالفرد لا ينشأ بمعزل عن الجماعة، وبالتالي ليس للفرد وجود خارج إطار هذه الجماعة[3]. وأما شاعرنا فقد ربط الأنا بذاكرة الطفولة التي نشأت بين الجماعة التي شكلها الأهل والأصدقاء والوطن، فأشهر (أناه) الشعرية؛ لتشكل صورًا تعبر عن الحزن الذي حمله الطفل الفلسطيني تجاه حالات الفقد التي تعرّض لها.

إنّ ما يميز الأدب الفلسطيني بشكل لافت، هو الحضور الواضح للطفل ودوره، رافقه عمل إبداعي بارز روحًا ورمزًا في الشعر الفلسطيني، فارتفعت شاعريته عند كثير من الشعراء

[1] **الديوان**، 129.

[2] **الديوان**، 143.

[3] زكريا إبراهيم، **مشكلة الإنسان**. ط.2. القاهرة: دار مصر للطباعة، د.ت.، 154.

الفلسطينيين وغيرهم، فقد استطاع كثير من الشعراء رسم لوحات طفولية خاصة، وراح الشاعر يرى المشهد من زاويته الخاصة. بيد أن الصورة العامة للمشهد الشعري لصورة الطفل عند شعراء فلسطين تتوزع بين الأمل والألم، بين وجود الاحتلال وحتمية زواله على أيدي أطفال الحجارة، فأخذت منحى الحزن والألم[1].

إن سيطرة ضمير الأنا على الصياغة اللغوية في قصائد الشاعر، وقيامه بفعل السرد، وعرض الرؤى والرغبات المتأججة في أعماق النفس، تشي بشحنة انفعالية، وتجسيد تاريخي للهوية في بعديها الذاتي والجماعي "**إنا حملنا الحزن أعواما وما طلع الصباح**"، فصباح الوطن الذي لم يطلع هو الحرية، لكن يبقى الفلسطيني قابضًا على جمرة الوطن يسعى إلى سبيل لاستعادته "**وما لك من سلاح إلا لقاء الريح والنيران في وطن مباح**[2]"، الذي يكشف عن طبيعة الصراع الإنساني.

ثم إن اللافت في ديوان "لا بد من حيفا" أن (أنا) الشاعر عبد الناصر صالح "المرهف الوجدان[3]" التصقت بذاكرة الطفولة البريئة التي ارتبط بشكل كبير بألم فقدان الأم المرأة المعطاءة الحنونة، التي تحملت مشاكسات طفلها وشيطنته في المدارس، وبطولاته في يوم الأرض، وصموده في السجون وبردها وعذابها، فصار الألم عند الشاعر مضاعفًا، ألم فقد الأم وألم فقد الوطن: يقول في ذلك:

أنا الطفل المدلل والمشاكس والمعاند/ لا أريد سواك أمي
أنا الطفل الشقي المرهف الوجدان/ لم أضحك لغيرك أو تهرول دمعتي[4]

[1] محمد دوابشة، **صورة الطفل في شعر عبد الناصر صالح**. فلسطين: الجامعة العربية الأمريكية- كلية العلوم والآداب، 4.

[2] http://www.adabna.com/diwan/a/1024 19/1/2024 الساعة: 7:12

[3] **الديوان**، 18.

[4] **الديوان**، 18.

إنّ كتم الحزن وحبس الدموع عند صالح هو ما ضاعف ألمه، وفتق وجدانياته المرهفة، وهذه الدموع رغم حبسها، والتجلد بجَلَد الصبر والقوة والصمود، الصورة التي زرعها والده، فما كان منه إلا أن ردعه عن فكرة البكاء، بيد أن الشّاعر لا يستطيع حبس دموعه عند استرجاع ذاكرة الأم:

يردعني أبي..أبكي.../ وأركض صوب أمي[1]

الأم المرأة الوطن اجتمعتا عند الشاعر في مشترك واحد وهو الفقد، "فالأنا لا تبرز في النص الشعري عادة نسقًا منعزلًا عن الآخر[2]"، فالأنا الشاعرة هي التي تخلق الآخر في النص لإقامة علاقة معه[3]. وهذا الآخر يبدو جليًّا في أسلوب الخطاب الموجه لصديقه أحمد سعدات[4]، كما سيتضح فيما بعد من خلال الدراسة.

ويشكو لأمه شيطنة الطفولة ويشكو للوطن برد السجون، وعذابات الأسر، فكانت الـ(أنا) جسرًا مغلفًا بالحزن، يمتد بين فقد الحرية، وفقد الأم، وفقد الوطن، فكان لا بد لهذه الأنا أن تتمرد على الطاعة العمياء، وتتمثل في صورة شيطان، لكنه شيطان محبب مغامر مقدام قائد:

أنا الطفل المدلل سارق النار المغامر/ شيطان المدارس

قائد الطلاب في أعراس يوم الأرض

لم ينل من حظه شيئا سوى برد السجون وآفة القضبان[5]

---

[1] **الديوان**، 19.

[2] عبد القادر الغزالي، **الصورة الشعرية وأسئلة الذات في شعر حسن حنفي** (الدار البيضاء: دار الثقافة للنشر والتوزيع، 2004)، 159.

[3] أحمد ياسين السليماني، **التجليات الفنية لعلاقة الأنا بالآخر في الشعر العربي المعاصر** (دمشق: دار الزمان، 2009)، 425.

[4] **الديوان**، 98، 110.

[5] **الديوان**، 19.

يكرر الشاعر التعبير عن مأساة الفقد والحزن الذي ألمّ به، ورغبته الملحّة في البكاء عندما تساءل عن أمه، فهو لا يستسلم لفكرة الفقد، ولا يصدق أنها ماتت، ورحلت، وغابت عنه، فنجد مشاعره تختلط عليه، فيمضي في نسق سرديّ وصفي، يعلل سرّ بكاء الذّات الشاعرة وحزنها، فيلجأ إلى أساليب الاستفهام المتفجّرة في قرارة نفسه، والتي تعكس مرحلة مهمة من مراحل الوعي بالذات وبالآخرين؛ في محاولة لإدراك كنه مشاعره، والوصول إلى اليقين الشعري الواقعي: هل حزنه ذاتي نتيجة رؤيته الذاتية الضيقة الطفولية؟ أم هو حزن جمعيّ نتيجة قدريّة الموت التي تصيب الفلسطيني.

هل كنت طفلا أم أنا وجع الهتاف وسيد الحسرات

هل ضاقت بي الرؤيا لأغرق في تشتتها/ سأبكي: أين أمي؟/ لم تمت[1]

وما يؤكد رؤية الباحثة أنّ الشّاعر في قصائد الديوان لا يكرر كلمة (أنا) إلا بحضور ذاكرة الطفولة المتعلقة بأمه، وأما مع الوطن يذكر (أنا) مرة واحدة، وفي ذلك دلالة على النضج المصاحب للوطن، وقدسية المكان ومسؤولية الذات تجاه المكان الذي يشكل بؤرة النزاع العقائدي والتاريخي المتمثل في القدس، في حين أن الإنسان بحضرة أمه يعود طفلًا لا مسؤولًا؛ يسترجع حنان الأمومة، فهنا "يدرك الشاعر مع مضي الزمن خطورة أن يكون شاعرًا وذلك لنمو وعيه بمسؤولية الكلمة الشاعرة[2]"، وبعدها صحوة، فيقول في (أنا) الوطن:

في صحوة الميلاد كنت أنا وبينات القدس/ في دمنا تجدل وقتها لا مستعار الوجه[3]

إن الشاعر لا يريد لذاكرة الطفولة أن تكون شيئًا عابرًا، يريدها أن تكون إرثًا ثمينًا؛ فهي غالية على قلبه، وعندما تتساقط بعض ذكرياتها تكون خيانة بالنسبة له، والدموع التي تعبر عن حزنه وألمه لا تكفي، لتفيها قدرها:

---

[1] **الديوان**، 22.

[2] ينظر: عز الدين اسماعيل، "مفهوم الشعر في كتابات الشعراء المعاصرين،" **مجلة فصول** 4/1 (يوليو/ تموز 1981)، 57.

[3] **الديوان**، 27.

لم يبق من موج لأحبو فيه/ كي أرِثَ الطفولة/ خانني دمعي[1]

ونجد عبد الناصر صالح عاجزًا عن تحرير من فقد من ذاكرة طفولته، والنتيجة التلقائية عدم القدرة على تحرير الحزن والألم والمعاناة التي ألمّت بالشاعر جراء من فقد من أحباب، فيبقى الغياب ومعاناة الفقد مقترنة بذاكرة الطفولة التي لا تنضب ولا سقف لها:

وأمضي نورسا ظمئا يفتش في عيون الماء/ يسقي غرس من جاعوا
ومن صلبوا على حد الغياب/ هناك مملكة وبحر ضاحك كبراءة الأطفال
لا سقف لذاكرتي وغرس قصيدتي[2]

يعود الشاعر ليؤكد ملامحه التي يحافظ عليها من طفولته ويألم لفقدانها، والظروف التي انتزعته منها، مما أورثه حزنًا عميقًا وألمًا كبيرًا:

وأنا البريء/الطيب/العفوي/ أُنزع من بداياتي/ ويسرق صولجاني المغرضون
كأنني استأنست خذلاني من الخطب المثيرة
واستكنت لرقصة الأشباح في معزوفة الحزن العتيق[3]

وكلما كبر الشاعر استحضر (أنا) الطفولة في الذاكرة، هو لا يريد أن ينفصل عنها، إنما يعيش عمره نادمًا على ما فوته في الطفولة فيتمنى العودة من جديد، متسائلًا متألمًا:

من سيعيدني طفلا يهرول في احتدام الرمل/ إذ إرهاصه يحتدّ؟
عمري مرتع الندم المؤجج[4]

ويرى الشاعر ان وضوح المسار الذي يتبعه في مسيرة عمره يستمد صدق المعنى، كذلك، من ذاكرة الطفولة، فهي الأصدق دائمًا في التعبير عن المعنى النقي الذي لا يشوبه الزيف والخيانة والطمع:

[1] **الديوان**، 54.
[2] **الديوان**، 56.
[3] **الديوان**، 60.
[4] **الديوان**، 61.

واصعد لطالع عمرك المرهون للرؤيا/ ليتضح المسار

لك أن تزكي العشب ينهض في كتابك/ يقفز المعنى نقيّا مدنفا بمدادك

المروي من نخل الطفولة[1]

إن تقدم العمر وتغير المرحلة لم تفقد الشاعر ذاكرة الطفولة المفقودة، فهو يؤكد على أنها الاخضرار الذي يلجأ إليه؛ ليمنحه الأمل:

نطلّ نحو الأخضر المرويّ من دمنا/ نطلّ على طفولتنا

ونفتح شيفرة البحر الخفية/ ليس إلا أن نعود[2]

تيمة المرأة الحبيبة ودورها في تشكيل ظاهرة الحزن:

إن ربط الشاعر معاني الوجود، والعشق للمرأة، والحبيبة، والأم، وبشكل عام ربط المرأة بالوطن، يزيد الأبيات الشعرية جمالًا، وخاصة أن الشاعر قد وظف تيمة المرأة توظيفًا إيجابيًا، دون الخروج عن وظيفته الجمالية والفنية، مركزًا دورها في العطاء والخصب والحب والحنان، وهو ما تشترك به مع الوطن الذي يمنح صاحبه تلك المشاعر. ورغم ارتباط كل شاعر بالقضايا الوطنية لعصره، إلا أن التشبيهات ظلت كما هي، فعشق الشاعر للمرأة يظهر في سرده للجوانب التي يراها تشبه فيها الوطن باحتوائه، وبكونه ملجأ الميلاد والموت.

وكما يوجد في الوطن مآسي وقضايا، فإن في عالم المرأة صولات، وجولات، وكم من المشاعر التي تجسد بذاتها عالمًا يستحق التأمل، والتعبير عما جال بالبال وحوته الصدور؛ ليُسرد على الورق، ويُقرأ بعقول مستنيرة، وأحاسيس صادقة لتعيه، وتنشره بكافة وسائل النشر في العالم كله.

يقول عبد الناصر صالح في قصيدته المهداة إلى رفيقه المناضل الشاعر حلمي سالم:

لم نكن وحدنا يا رسول المحبة/ نخجل من دمعة الورد إذ تتحسس فروتها

[1] **الديوان**، 128.

[2] **الديوان**، 26.

نشتاق لامرأة تشبه البحر/ حين يفيض الكلام على شفتيها
وتمعن في العشق جذلى/ كمن مسَّها ملهَمٌ بالهوى
تُرى من أضاع الطريق إلى بيتها[1]

وإذا ما ربطنا المرأة التي تشبه البحر بعنوان الديوان (لابدّ من حيفا) نجد المرأة معادلًا موضوعيًّا لحيفا، فحالة الشوق والحنين (نشتاق لامرأة) التي يعيشها شاعر ثوري مناضل متأثرة بحالة الافتقاد لوطنه، واختفاء ملامح الونس، والشعور بالأمان به، مثلما يحدث في افتقاده للشعور بالحب مع الحبيبة. وحالة الفقد التي يعيشها الشاعر من فقد الوطن وفقد الصديق أسقطه على حروفه فأنسنها وجعلها منعزلة تعاني الفراغ، حين قال في القصيدة ذاتها:

يبقي الحروف على حيز من فراغ/ طلولًا تؤانس عزلتها

فحالة العزلة هذه نتيجة الشعور بالوحدة التي عاشها بفقدان من يحب، وعاشها صديقه حلمي سالم عندما رحل عن وطنه وصديقه، فيقول:

يعتنق الأرض حدّ التماهي/ ويرقى – إذا شاغلته النواعير- بالنص
يبدع طقس عبادته/ ثم يأوي إلى حيث يشاء/ المدينة لوح وصاياه[2]

وللتعبير عن حالة الحزن والألم من فقد الحبيبة والوطن والصديق نجده يتناص تاريخيًا، ويستعير صورة (كأن على رأسه الطير)، كما كان يضربها العرب سابقًا للساكن الوادع (كأن على رؤوسهم الطير، مجمع الأمثال- المثل 3048)، فالطير لا تسكن إلا على ساكن، والوحدة سكون، والموت سكون، والعزلة سكون:

ترى من سيمضي وحيدا/ كأن على رأسه/ وحيدًا يغادر محرابه

[1] عبد الناصر صالح، **لابدّ من حيفا** (يافا: مكتبة كل شيء، 2022)، 9.

[2] **الديوان**، 15.

والعصافير مسدلة الجفن تبكي/ وحيدا.../ يحاصره الموت من كل حدب[1]

ونرى الشاعر يربط المرأة بالوطن في قصيدة (لأمي) ومن جديد يربطها بالبحر، كما ارتبطت حيفا (في عنوان الديوان) بالبحر، فيقول:

أمي مداد الروح/ وجهٌ فارهٌ كالبحر[2]

والمرأة المرتبطة بالوطن حبيبة كانت أو أم أو أخت أو زوجة هي مرتبطة كذلك بالبيت فهي دفؤه، وهي روح البيت:

أمي صفاء القلب/ عنفواني/ وطني الذي ناديت في الأحشاء/ نافذتي على الدنيا[3]

ويكرر الشاعر أسلوب التشبيه (وجها فارها كالبحر) في موضع آخر في نهاية القصيدة. كما يختزل الشاعر ملامح أمه في الأرض، لتصبح الأم معادلًا موضوعيًّا للأرض التي تدثره بمعطفها ورعايتها، ليظل رغم القيد والأسر شامخا مع رفيق دربه الأسير عبد الله البرغوثي:

هل ألبستك الأرض معطفها لتخرج سالما/ فاخرج معافى من قيودك شامخًا
هذي ملامح وجه أمك/ أبصرتْك[4]

ويؤنسن الشاعر الريح فيجعلها أنثى تغط في نوم طري، فيوقظها لتكون ملاذه الأخير حيث السكينة والدفء والطمأنينة:

أنتظر الريح/ أوقظها من منام طريّ[5]

نرى ان بعض قصائد الديوان ترتكز في إنتاج دلالاتها على أربع إشارات أساسية، قرنها الشاعر بالأنثى الوطن، هي: التناص الديني، والتناص التاريخي الأدبي، التكرار الرأسي،

[1] **الديوان**، ن.م.
[2] **الديوان**، 18.
[3] **الديوان**، 21، 22.
[4] **الديوان**، 82.
[5] **الديوان**، 33.

المتواليات المكانية. أما الإشارة الأولى يتناص فيها الشاعر مع قوله تعالى: "يا نار كوني بردًا وسلامًا على إبراهيم"، فالله نادى النار يأمرها أن تكون أمانًا وسلامًا على سيدنا إبراهيم، وشاعرنا لجأ إلى أسلوب النداء مخاطبًا الريح التي أنسنها –كما وضحنا سابقًا- فتاة تصحو من إغفاءتها، ثم يطلب منها أن تكون ملاذه الأخير حيث الاستقرار والأمان:

يا ريح كوني ملاذي الأخير[1]

الإشارة الثانية تظهر في لحظة حزن وألم الشاعر واستشعاره غياب الأمان والخير في وطنه، فيتناص مع كعب بن زهير باستحضاره سعاد، وسعاد الشاعر وطنه، الذي رمز لغيابه بغياب سعاد، وسعاد التي بانت ورحلت عند كعب بن زهير كانت امرأة رمز الحب والعطاء والخصب، ومن هنا دعا الشاعر لزراعة النخل، والنخلة شجرة مقدسة في جميع الأديان، وهي بالنسبة للعربي رمز للثبات والشموخ والعطاء، وهو بذلك يأمل استعادة خير بلاده وعطاءها:

ولك المدى يفترعن حلم البلاد/ فازرع غراس النخل/ قد بانت سعاد[2]

ويستحضر الشاعر "صخرة سيزيف الذي تحدى إله الموت ومنع الناس من أن تموت[3]"، ليمنع الموت عن القدس، يقول:

فاحمل صخرة الميثاق يا سيزيف/ من للقدس غيرك منذ كانت[4]

الإشارة الثالثة للتكرار الرأسي للضمير (أنت)، في حوار يشي بحالة التخاطر التي نشأت بين الشاعر وصديقه في الأسر، أحمد سعدات، وعلاقته التبادلية/التكاملية الروحية، وليس هذا إلا انعكاس لحالة وحدة الهدف لدى الأسرى، وهو الحرية الحياة، النشيد الوطني، يقول:

[1] **الديوان**، 33.

[2] **الديوان**، 97.

[3] مدونة الجزيرة: https://www.aljazeera.net/blogs

[4] **الديوان**، 105.

وأنا أراكَ الآن فيّ/ فهل تراني فيك حيّا؟/ ربما وحيا اراك
ولا حدود لسقف بوحك/ أنت فاتحة النشيد/ وانت خاتمة القصيد
وأنت احمد/ أنت أحمد/ أنت أحمد[1]

وتعبّر الإشارة الرابعة المتعلقة بالمتواليات المكانية عن تحقق الوجود الكوني الفلسطيني، فيتوالى الشاعر في ذكر الأماكن الفلسطينية، فيذكر: طولكرم ص87، حيفا ص89،97، القدس ص98، جَتّ ص50،52، فعلى سبيل المثال يذكر جَتّ ست مرات في قصيدة واحدة "خزاف الأمل"ص43:

"جتّ الأخيلية تنفث الرؤيا كأنها الفينيق تبعث من رماد القهر"
"لم تغفل مواجع جتّ"/ "جتّ تنسج للمدى خيط القصيدة
لوعة التأويل في نص الجبال/ فيستحيل النور أغنية وجتّ فتية القسمات"
"جتّ إن غفت القرى تبقى صهيل الخيل في الآجام"
"جتّ شاهقة الندى موالنا القدسي يزهر في مصطابها"/ "جتّ تبحر في رحابك"

كما يؤكد الشاعر أن المحرك والدافع للقصيدة هو أنثى، امرأة متمثلة في النساء اللواتي يملأن دائرة الذاكرة ويختزلن الوطن بدفئهن ومساندتهن ووجودهن الجميل، ليعبر الشاعر عن ذلك كله بلغة نبضها أنثوي:

تأتي إليّ النبوءة شعرًا/ يدثرني بعباءته/ ثم يختار لي لغة/ نبضها أنثوي
ثم تأوي إلى خدرها في الضلوع[2]

والخدر كما نعلم ملازم للمرأة، لكن الشاعر جعله في ضلوعه حيث يكمن الشوق والحب والحنين، فينتشي بصورة عينيها اللتين تخففان مصابه وحزنه:

[1] **الديوان**، 110.

[2] **الديوان**، 33.

ثمّة عيناك في نشوة اللحن/ تنتشلان بلاغة حزني[1]

ويكمل الشاعر لجوءه بمتعلقات الأنثى الوطن التي تمنحه السكينة والدفء والأمان فيجعلها معادلا موضوعيًّا لأرض الوطن:

اسكني رغبتي/ أتأبط صدرك في الزمهرير/ وأمضي إليكِ/ أقضُّ مضاجع خوفي
وأصدقكِ القول/ من رحم الأرض تنبثق الرغبة الآدمية[2].

ذلك فضلا عن خصوبة الأنثى، والذي تمثل في ثديها الذي لا يجف، وزينتها التي يهيم بها:

فلن يجفّ الثدي من ظمأٍ/ ..../ كأنك همت في أقراطها[3]

تنهض الرؤيا الشعرية من إرادة الذات الشاعرة في الولادة والانبعاث والنهوض بالفعل الثوري، المستند إلى الواقع وقدرة الشخص وإرادته، من خلال صهيل الخيل الذي يسير فوق الشوك بإرادة الصمود، ولا يحتفظ إلا بذاكرة النخيل الشامخ؛ ليغلق المشهد على خزان موقوت ورحم الولادة، وكل ذلك للتغلّب على "الأسى" والحزن الذي يعتمل صدره. فنجد الشاعر يقرن قرية جتّ التابعة لمدينته طولكرم الأم الوطن بالأنثى "الفتيّة" الأبيّة الولّادة للصّامدين الشّامخين، فيستحضر رحم الولادة الذي ينجب الأبطال، وترضعهم معنى الكرامة والعزة، يقول:

"جتّ" فتية القسمات والشرفات/ أرضعت الصخور جلالة المعنى
وموفور الكرامة/ "جتّ" إن غفت القرى/ تبقى صهيل الخيل في الآجام
تقتحم الأسى وتسير فوق الشوك/ كي تأوي لذاكرة النخيل
فهل تدل السهل منتفضا/ على خزانها الموقوت من رحم الولادة[4]

---

[1] **الديوان**، 33.

[2] **الديوان**، 41.

[3] **الديوان**، 45.

[4] **الديوان**، 50.

هنا علياؤنا نتنفس الشجر المهيّأ للولادة[1]

ويتابع الشاعر اقتران المرأة بالوطن عندما ربط المدن والأرض بالعاشقة العذراء:

صوتي يدل علي في قلق المدائن/ نخلة عذراء عاشقتي/ ومزماري سلافتها
أعبر في صهيل الأرض/ منتفضًا كما الأمواج/ ينكسر الغبار أسير وثبتها
احرر حلمها الباقي كعاشقة/ ترقّ لوشم زائرها[2]

ويمضي الشاعر برفقة صديقه الأسير **عباس السيد** (يا صديقي، ص77)، بتوازن مدروس إلى شمس الحرية، يصلها كما تصل العاشقة حبيبها:

يمضي إلى شمس اليقين كوصل عاشقة/ على نقش الزبرجد تحتويه بضرعها[3]

ويخاطب الشّاعر صديقه الأسير عبد الله البرغوثي، بحزن عميق، يحدثه عن ألم القيد وما أصاب الوطن والبيت والأرض، فيجعل من السحابة بيتًا له سقف وامرأة تفيض من عطائها:

رمم، إذن، سقف السحابة/ كي تضيء/ وكي تفيض على القلاع
وتنهل الكلمات من أثدائها[4]

وهو يؤكد على هذا الشموخ المستمد من حليب الأم التي هي رمز الوطن، الأم التي ترضع أبناءها معاني الصمود والثبات والشموخ:

[1] **الديوان**، 74.

[2] **الديوان**، 66.

[3] **الديوان**، 72.

[4] **الديوان**، 81.

فما رضعت سوى العلا من ثدي أمك[1]

يختتم الشاعر مخاطبًا رفيقه الأسير كريم يونس، فيربط الأنثى بالقدس، الوطن المقدس الشريف بقوله:

وأبدأ –كما ساعي الأماكن- من حطام الوقت/ مؤتزرًا بروح القدس
تأتي مثل عاشقة بتول[2]

الخاتمة:

- حرص الشاعر عبد النّاصر صالح على أن يجعل من مأساته مأساة سياسية وأن يحولها في الوقت نفسه إلى مأساة إنسانية، فتصبح أغنية لكل المظلومين والمقهورين في العالم وفلسطين خاصة، كما حرص أن يبقي شيئًا من الأمل للحاضر والمستقبل فيما يشبه رد فعل على الجانب المأساوي.
- استخدم ضمير (أنا) في رسم وتشكيل معظم صوره الحسية، والتأكيد على صورة الحزن والموت في فلسطين.
- اتخذ الشاعر من القضية الفلسطينية رمزا في تصوير الحالة المأساوية من الحزن والموت والفقد والتعبير عما يجيش في نفسه من إرهاصات تجاه الواقع المرير الذي يعيشه الوطن العربي بأجمعه.
- كرّر الشاعر لفظة الحزن ومظاهره وأسبابه من دموع وبكاء وجرح وألم وفجيعة في معظم قصائده.
- ركّز الشّاعر في معظم قصائد ديوانه على شعوره بالخوف والحزن والموت والفقر، وكأنهم غرباء في وطنهم، يخشون المستقبل في قادم الأيام.

[1] **الديوان**، 103.

[2] **الديوان**، 144.

- استخدام النزعة الخطابية في تصوير ومعالجة معاني الحزن والظلم والفقر والموت، فيعمد الشاعر إلى وسائل فنية كالتّناص والمقارنة وتكرار الاستفهام فضلا عن النزعة الدرامية على الصور الشعرية؛ ليخلق بذلك إحساسا عميقًا بالمأساة التي يعيشها المجتمع الفلسطيني تحت نير الاحتلال.
- وصفه لظاهرة الحزن والفقد والموت والغياب بأنها ملازمة للإنسان الفلسطيني، وهو معرض لها في أي لحظة في الحياة اليومية.
- استنهاض مجموعة من المدن الفلسطينية صاحبة تاريخ من المآسي والمعاناة، مثل طولكرم، يافا، كفر قاسم، جتّ، حيفا، عكا، دير طريف، القدس، واصفا حالة الفلسطيني وتطلعه نحو الحرية والكرامة في وطنه.
- ركز على دور المرأة الفلسطينية الثكلى في تلك المعاناة ونصيبها من الحزن والألم نتيجة الفقد وجعلها ملازمة للوطن في ثنائية دائمة.
- ركز على الجانب الإنساني للفلسطيني الذي يحب ويحلم بحياة مستقرة وسط عائلته وفي بيته ووطنه.

المراجع والمصادر:

إبراهيم، زكريا. **مشكلة الإنسان**. ط.2. القاهرة: دار مصر للطباعة، د.ت.

ابن منظور، محمد بن مكرم أبو الفضل جمال الدين. **معجم لسان العرب**. لبنان- بيروت: دار إحياء التراث العربي، د.ت.

المصباح المنير. ت: أحمد بن محمد بن علي المقرئ الفيومي. لبنان. بيروت: دار الفكر، د.ت.

اسماعيل، عز الدين. **الشعر العربي المعاصر-قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية**. بيروت: دار العودة، 2007.

..... "مفهوم الشعر في كتابات الشعراء المعاصرين." **مجلة فصول**. مج. 1. ع. 4. (يوليو/تموز 1981).

- الأصفهاني، الراغب. **مفردات ألفاظ اللغة**. ت: صفوان عدنان داودي. ط.1. طليعة الثور، 2000.

البياتي، عبد الوهاب. **الأعمال الكاملة**. م.1. ط.1. بيروت: دار العودة، 1972.

الحاوي، إبراهيم. **حركة النقد الحديث والمعاصر**. الشركة المتحدة للنشر والتوزيع، 1984.

دنقل، أمل. **الأعمال الشعرية الكاملة**. بيروت: دار العودة، 2015.

دوابشة، محمد. **صورة الطفل في شعر عبد الناصر صالح**. فلسطين: الجامعة العربية الأمريكية- كلية العلوم والآداب، د.ت.

الدويرة، يوسف علي. **القضايا المعنوية والفنية في شعر حاكم عبد الرحمن**. أطروحة دكتوراه غير منشورة. السودان: جامعة أم درمان، 2013.

الرازي، محمد بن أبي بكر عبد القادر. **مختار الصحاح**. لبنان. بيروت: دار الفكر، د.ت.

الروايص، السعيد. **ظاهرة الحزن في شعر السياب**. رسالة ماجستير. الجزائر. جامعة باتنة، 1986.

زكريا، أحمد بن فارس. **معجم مقاييس اللغة**. ت: عبد السلام محمد هارون. دار الكتب العلمية، د.ت.

السليمان، أحمد ياسين. **التجليات الفنية لعلاقة الأنا بالآخر في الشعر العربي المعاصر**. دمشق: دار الزمان، 2009.

صالح، عبد الناصر. **لا بدّ من حيفا**. ط.1. حيفا: مكتبة كل شيء، 2022.

ضيف، شوقي. **الأدب المعاصر في مصر**. ط.5. دار المعارف، 1974.

عبد الصبور، صلاح: **ديوان أحلام الفارس القديم**. www.bools4all.net.

الغزالي، عبد القادر. **الصورة الشعرية وأسئلة الذات في شعر حسن حنفي**. الدار البيضاء: دار الثقافة للنشر والتوزيع، 2004.

المبارك، محمد جابر. "الحزن وبواعثه عند أمل دنقل." **مجلة ابن خلدون للدراسات والأبحاث**.10/2.

مرزوق، حلمي. **تطور النقد والتفكير الأدبي في الربع الأول من القرن العشرين**. ط.1. مصر: دار الوفاء، د.ت.

الملائكة، نازك. **ديوان نازك الملائكة**. مج.1. بيروت: دار العودة، د.ت.

موسى، إبراهيم نمر. **مدارات الشعر المقاوم في شعر عبد الناصر صالح**. فلسطين: الاتحاد العام للكتاب والأدباء الفلسطينيين، 2022.

موسى، نجية. "ظاهرة الحزن وبواعثها في الشعر العربي المعاصر." **مجلة جسور المعرفة**. 7، (2016): 98-99.

اللغة العربية، المنهاج المدرسي للصف الخامس، 2020.

المصادر الالكترونية:

جريدة العرب https://alarab.co.ukB1

الأسى وقود القصيدة: مقال في صحيفة الخليج، WWW.diwanalarab.com

موسوعة عريق https://areq.net/m

الأعكل، لطيفة. **نزعة الحزن في الشعر المعاصر**. مقال 2018 alroya

مدونة الجزيرة. https://www.aljazeera.net/blogs